

الممارسة الإعلامية الاسترجاعية ودورها في تجسد المتخيل الديني

Retrospective Practice of Media and its Role in Embodying Religious Imagination

الدكتور محمد بغداد*¹

¹ مدير التوثيق والإعلام بالمجلس الإسلامي الأعلى – الجزائر

تاريخ النشر: 2019/12/31

تاريخ القبول: 2019/12/20

تاريخ الإرسال: 2019/12/04

الملخص:

برزت الكثير من الظواهر التواصلية في مجال الفضاء العام في العالم العربي خلال السنوات الأخيرة، ومن هنا ينبغي الانتباه إلى تداعياتها والوقوف على تأثيراتها، وبالذات تلك الظواهر المتعلقة بالممارسة الإعلامية التي سيطرت على الفضاء العام وهيمنت على السلوكات اليومية، وأنتجت العديد من المستويات التواصلية، مؤثرة بذلك على المنظومة المشكلة للمجتمع. الكلمات المفتاحية: العقيدة الاسترجاعية: المخيال الإعلامي: الممارسة الإعلامية: الأخلاق

Abstract:

A lot of new communicative phenomena have emerged in the field of public space in Arab world during the last few years. Thus, it is so important to draw attention to the repercussions of these phenomena in order to determine their effects, particularly those which are related to media practice and have dominated public space, daily behaviour, and have produced many levels of communication, influencing the social system.

Keywords: Retrospective doctrine; Imaginary media; Media practice; Ethics.

في الكثير من الأحيان نجد أنفسنا أمام المعاني المسترجعة من الأزمنة الأخرى والماضية منها بالتحديد، والمستوحاة من ثقافات أخرى، فرضت معانيها دون أن يكون لهيمنتها مسوغ التفاعل بين الحضارات والتعارف بين الثقافات، وتأخذ في اللاوعي موقع الرفض والتصادم على المستوى النظري والتجسيد الممارس في الفضاء اليومي.

* الباحث المرسل: baghdadh@yahoo.fr

إن النمط الذي فرضتها تكنولوجيات الاتصال الحديثة، فرضت المفاهيم المتناقضة في مضامينها المعرفية، وخلقت انسجاماً في الممارسة اليومية، وهذا التناقض يجعل من التداخل بين مفاهيم (الاستراتيجية والمخيل – الممارسة – الإعلام – الأخلاق...) أنماطاً اتصالية لها تداعياتها التي لا تحقق بالضرورة الهدف الأساس من الانخراط في عالم التكنولوجيات الاتصالية المستقبلية.

لقد ارتبط مفهوم الاستراتيجية بذلك المعنى المتداول في الدراسات السياسية والاجتماعية المعاصرة الغربية على وجه الخصوص، بما يطلق عليه في هذه الدراسات (العقيدة القائمة في التراث اليهودي، التي فسرت بعض الإشارات العابرة التي وردت في العهد القديم، تفسيراً حرفياً ومنحتها مركزية مطلقة، فذهبت إلى أنه يجب أن تبدأ الألف عام السعيدة التي يحكم فيها السيد المسيح عليه السلام، لا بد أن يتم استرجاع اليهود إلى فلسطين تمهيداً لمجيء المسيح عليه السلام¹، وإن ارتبط هذا المفهوم وبرز في تجلياته في المناخ السياسي الغربي واستحوذ على الدراسات السياسية الغربية من خلال ربط سلوكيات صانع القرار السياسي الأمريكي بالذات، وعلى الخصوص في العلاقة مع إسرائيل وما ينتج عن ذلك في رد فعل في المناخ العربي، إلا أن مدلوله في الدراسات المتخصصة انتشر في أغلب الحقول المعرفية، لتظهر الكثير من الاتجاهات العلمية المنشغلة بهذه التداعيات ومن أبرز ذلك المجال الإعلامي الذي تمنح ممارسته فرصة ثمينة للباحث عند تفكيك الخطاب الإعلامي الكثير من الفرص التي تكشف تجلى واضح للعقيدة الاستراتيجية دون أن يكون لأصحابه الوعي الكافي بما يتورطون فيه، وبالذات في أزمنة الاشتغال الإعلامي في فترات الأزمات عندما يرتفع سقف الجدل والصدام بين القوى الاجتماعية الممثلة لبنيات المجتمع من جهة ومن جهة ثانية الأطراف المستثمرة في المجالات الصحفية.

وفي العصور الأخيرة تزاхمت المفاهيم وتداخلت الكثير من المفاهيم بسبب تداعيات العولمة، وفي هذا النسق يأخذ المتخيل معنى أنه: (مجل المنتجات السيميائية اللغوية وغير اللغوية التي يصطنعها الإنسان الديني للكلام عن العالم المتعالي والمحايث، من أجل

¹ نزار صيدة، النصوص الرؤيوية الكتابية - مجالاتها وتداعياتها على الفكر الديني، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت 2018، ص428.

الإجابة عن أسئلة البدايات والدينويات والأخريات، بعضها أو جميعها¹. إن مثل هذا المعنى يجعلنا في مواجهة الكثير من أنواع المنتج الإعلامي الذي يتزايد في الفضاء العربي، وبالذات في السنوات الأخيرة المتزامنة مع التحوّلات الكبرى التي يعرفها العالم العربي داخليا، وما يتعاظم من ضغوط تكنولوجيات الاتصال، وهو الأمر الذي يسهل الوصول إلى نتيجة تقديرية تقريبية تحقق الهدف المنوط في هذا المجال، أين أصبحت الصناعات الإعلامية الحديثة² العامل الحاسم في الاقتصاد وتدخل في صياغة الفرد وتوجيه الجماعة ومنحهما الهوية الكلية التي تسمح بانخراط معقول في المجتمع الدولي الجديد. وأما مصطلح الممارسة الإعلامية فيقصد بها في العادة (مزاولة العمل الصحفي وفق ما تحدده السياسات الاتصالية للقائمين بالاتصال من حقوق وواجبات ومجال الحركة، وكل ما يتعلق بذلك من ضوابط سياسية وتنظيمية وعقابية)³ وهنا نجد أنفسنا أمام تلك المعضلة المتمثلة في تجسيد معنى المؤسسة في عالمنا العربي التي لم تتمكن بمرور السنوات من الوصول إلى المستوى الذي يجعلها قادرة على الانخراط في المسار العام للمجتمع وتراكم الثروة وتلبية حاجات المجتمع ومتطلبات الاقتصاد.

عندما نتابع المنتج الإعلامي المسوق في مختلف وسائل الإعلام ووسائط التواصل عندنا، وبالذات في سنوات الألفية الثالثة، نقف على حالة من الاستنفار القصوى التي تجبرنا على العودة بالذاكرة إلى أزمنة كادت تندرج في مناحات النسيان، ولا تتوفر الرغبة حتى العابرة على استذكارها، ولكن إكراه الحالة يفرض الانتباه إلى المستويات الاستراتيجية التخيلية، التي تجسد المتخيل الديني في أزمنة الرقمنة التي يتم فيها تجيش المتخيل في دهاليز الماضي⁴، كون ذلك الاتجاه هو المحبذ في الكثير من الأحيان يمكن المؤسسة أن تخرج من مناخها وتتجاوز العقبات التقنية التي تمنحها شروط الانخراط في المستقبل، ولهذا تجدها تنتكس نحن الاتجاه المخيالي الماضي للحصول على شرعية

¹ أنظر : التعريف الذي قدمه بسام الجمل، جدل التاريخ والمتخيل، مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، ط1، الرباط، 2016، ص 32.

² أنظر : علي حمادي إبراهيم، آليات صناعة الإعلام، دار المعتر، ط1، عمان 2013.

³ محمد عبود مهدي، أخلاقيات العمل الصحفي، المفهوم والممارسة، جامعة أهل البيت، العراق، 2005، ص 11.

⁴ نبيل علي، العرب وعصر المعلومات، عالم المعرفة، ط1، الكويت، 2001، ص 32.

الانخراط في الحاضر الذي تنتعش فيه الأرمادة الإعلامية للاستثمار في الملفات المقبورة عبر العوالم التواصلية الزاحفة .

في القرن الخامس الهجري انتبه الجرجاني إلى مفهوم المتخيل، فاعتبره تلك (القوة التي تتصرف في الصور المحسوسة والمعاني الجزئية المنتزعة منها، وتصرفها بالتركيب تارة والتفصيل أخرى)¹ (3)، ومن تجارب تاريخية تمكن البعض من صناع الرأسمال الإعلامي من التفتن إلى هذه القوة التي تجعل منهم الجهة التي تخدم من يحتاجها ولا تجد مانعا في تقديم خدماتها لمن يطلبها ويدفع أكثر. وهو المعنى الذي يواجهنا اليوم وتجسد في تلك الممارسة الإعلامية التي تناوش الملفات والقضايا الدينية المستفزة للشعور العام والمحرضة للانطباع الجمعي، التي تحرص الموجات الإعلامية على التنافس في فرضها في مختلف نواحي الحياة، من خلال ما تنتجه من صور ورسائل، تكون من إنتاج القوة الذهنية والاجتماعية القلقة، التي تتصرف في الصور المحسوسة والمعاني الجزئية المنتزعة منها، بعدما تقوم بصرفها عن مدلولها الدلالي والزماني والمكاني، فتسعى إلى إعادة تركيبها تارة أو التفصيل فيها تارة أخرى، فتجعلها من الأولويات اليومية للمواطن التائه في زحام الأزمات، ومن الاستثمار في الاستراتيجية وربطها بالمخيل عبر الممارسة الإعلامية يتم التسويق للأزمات الوهمية والعرضية وتظهر التفاصيل والهوامش وتصبح القضايا الأساسية مؤجلة إلى حين² وتمتد تلك الممارسة الإعلامية في بذل الجهود في قهر الفضاء العام بمدلولاتها المعاد إنتاجها، على أساس أنها القوة القاهرة والرهان الأساس والخيار الوحيد والقضية المصرية التي يتم تعليق الوجود عليها.

إن الجهد المتخيل الذي يبذل عبر الوسائل الإعلامية والوسائط الاتصالية الحديثة، يجعل من استبعاد الحاضر هما مركزيا، ومن تحاشي ألم الواقع أولوية، ويدفع نحو الابتعاد عن رهان اليومي، فتكون الديناميكية الإعلامية المشتغلة على ملفات الماضي المقبورة، المسار المتبع والأسلوب المفضل الذي يكون الأداة التي يتم بها القيام بالعمل المطلوب، بعيدا عن الاعتماد على الذهن والاشتغال على العقل والعمل على العيش في الزمن الحاضر، وهنا يجد الكثير منا اليوم مجبرا على بذل كبير جهد، في سياق شرح

¹ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحق: محمود شاكر، دار المدني، ط10، العربية السعودية، 1970، ص51.

² انظر: صلاح مذكور، الإعلام العربي وقضايا الفكر المعاصر، الواقع والمأمول، جامعة عين شمس، ط1، القاهرة، 2009، ص 27.

معطيات تاريخية وتفسير أحداث ماضية تلاشت معالم قبورها من الوجود، تلفها سياقات يصعب على إنسان اليوم استيعاب تفاصيلها، وتعوزه القدرة على تصور وقوعها، لما لها من تعالى وتقديس أكسبتها القرون المتوالية، كثافة تحول دون تسلسلها إلى مستويات التداول اليومي المستساغ¹.

فالزمن الماضي، تم تسويقه على بساط الجمال والنقاء المطلق، الذي تتعاضم معه درجات اللجوء والفرار نحوه والكثير من العشق والاطمئنان إليه، وتزيد مستويات التسارع باتجاه أيامه، كلما كثرة الضغوط اليومية وتزايدت الإكراهات الاقتصادية، وتعاضمت المضايقات الاجتماعية، عبر استبدال نقاء الماضي والتطلع إليه والاحتفاء به واستمداد العون من ورديته، بضغوط من القلق والحيرة، مما خفي من مشاكل معاركة وتشنجات حروبه ومعقد سجالاته. (إن وسائل الإعلام العربية بحاجة للوقوف أمام نفسها بوضوح وصراحة، لتحديد إستراتيجيتها، وهويتها، ومدى قدرتها على البقاء في مرحلة الفرز الأولى حتى لا تتحول إلى استثمارات في يد من يملك المال أي من أصبحوا أباطرة الإعلام الفضائي العربي)²، ليكون الاحتفاء بالتراث الجزء المصاحب للممارسة الإعلامية لتحقيق مستويات متصورة لحصول الاقناع أو أداة من أدوات الحجاج اليومي، للوصول إلى فرض وجهات النظر بعيدا عن تلك المعايير المنطقية لطبيعة العملية الإعلامية.

وفي كهوف الماضي ودهاليز التاريخ، تتوفر كنوز من الثروات ومناجم من السلطة المحبذة في العصور الحديثة، التي تضيق فيها مساحات السلطة بالمعاني الجديدة، وتندثر فيها مبررات الشرعية الاجتماعية إلا لمن يملك القهر التكنولوجي والإبداع العقلي، ليفتح الماضي بملفاته البائدة أبواب جديدة لمن يبحث عن سلطة الحضور وشرعية التواجد، فيمارس تلك السلطة بالتبشير اليومي، بأن الاتجاه الصحيح يكون إلى الخلف والعودة إلى الماضي، والتموقع في دهليزه والاشتغال بقضاياه، وتكون المساحات الإعلامية الميدان الرحب لممارسة السلطة المكتسبة من مشكلات الماضي والمنتجة عبر

¹ انظر: أحمد القباجي، الإسلام المدني، الانتشار العربي، ط1، بيروت، 2010، ص 22.

² انظر: جاسم سلطان، التراث وإشكالياته الكبرى نحو وعي جديد بأزمئتنا الحضارية، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، بيروت 2018، ص 65.

تحويل الجزئيات إلى كليات والفروع إلى أصول، والاشتباك الحالي في الفضاء الإعلامي، يمثل حالة من الحالات المكررة عبر آلية التصنيف والتقسيم، ومنح الشرعيات وتكوين التكتلات وبناء التحصينات الاجتماعية والثقافية. (ما يلاحظ أن أجزاء من العالم العربي تتعرض لرياح تغيير تقوده قوى اجتماعية مستعجلة، تريد اقتلاع ما يعرقل طريقها من حواجز، ساعية بجرأة محيرة أحياناً، من أجل استبدال نظم سياسية تراها متجاوزة وعتيقة ومستبددة وتعويضها بأخرى لم تتبلور ملامحها. وفي هذا السياق، يحق التساؤل عن طبيعة هوية الأفكار والإيديولوجيات التي تستهوي الشباب الغاضب في العالم العربي؟ ما هي ملامح (بروفایل) ومواصفات الفاعلين والقادة الذين يوجهون ويرسمون الطريق لهذا الخضم البشري الهائل؟¹، وهذه الحيرة القلقة تضع النخب الإعلامية في ورطة تاريخية مما يجعلهم والمؤسسات الإعلامية في مواجهة مصير مؤلم وخيار درجات منعرجاته حادة.

إن القوة التي تشتغل على التصرف في الصور المحسوسة والمعاني الجزئية المنتزعة منها، وتعمل على إعادة إنتاجها بالتركيب تارة والتفصيل أخرى، تضع في حسابها تلك الاستثمارات المهمة التي تمارسها وتنتظر منها ما يأتي من الفوائد ليست بالضرورة ما ينصرف إليه الذهن من الإحصائيات والأرقام المادية، بل الأهم هو صناعة المناخ المناسب، وتوفير الأجواء القابلة لانتعاش مع يكون من تسويق المفاهيم والتصورات، التي تكون قادرة على الاستهلاك وإيجاد الأسواق الواسعة المستوعبة للقدام من المنتج الماضي، الذي يعيد للنفس المحطمة نوازعها وإلى العقول المجمدة ديناميكيته، وإلى الحواس المكلسة حيويتها، وإلى الأوطان المدمرة كيائها.²

فالقوة التي تمارس التصرف في الصور المحسوسة والمعاني الجزئية المنتزعة منها، في الفضاءات الإعلامية وتهيمن على آليات التصرف فيها، من خلال أدوات التركيب تارة والتفصيل أخرى، تتجاوز حدود المتوفر في صفحات التاريخ من عناوين وشعارات (فرق

¹ انظر: لؤي عبد الفتاح، المنطقة العربية من تداعيات الحراك الاجتماعي إلى فوضى الصراع الجيوسياسي، (الحراك الاجتماعي في المغرب والمشرق الاتجاهات الراهنة والآفاق . مؤلف جعاني) ط1، مخبر الأبحاث القانونية والسياسية جامعة تازة، الرباط 2015، ص 22.

² انظر: محمد قيراط، مسالة الضمير الصناعة الإعلامية والانتقائية المنظمة، ط1، مكتبة الفلاح، القاهرة، 2016، ص 41.

– مذاهب – طوائف – اتجاهات وغيرها) إلى غيرها من تداعيات ما يمنحه المتخيل من المنتوجات المتناسلة، واستحداث العناوين الفرعية والشعارات الجزئية، التي تكون في النهاية مجرد أوهام يتم تداولها تحت إكراهات

السطوة الإعلامية ومجارات الرهانات العشوائية العابرة. (غلبتنا الميديا التي لم نتلقفها باكراً، أخذت منا (الوقت) الأمس والراهن والغد، كما أخذت الهوية والموروث، أخذت منا الوجوه والملامح والوقائع، اجتاحت الوسادات كما ساحات المدن والقرى، اغتالت عادات وتقاليده. دمرت مدننا وقرانا أمام أعيننا، تمزقت خرائطنا وقناعاتنا، صار زماننا إفتراضيا وفي الإفتراض لا مقياس للزمن ولا للعمر)¹، وهي السطوة التي في غالب الأحيان يتم التنازل على المعايير والشروط العلمية والمهنية في الممارسة الإعلامية، تحت ضغط الرغبة في الحصول على استحسان الجمهور وإشباع رغباته.

ويدخل في هذا الإطار عبارة الشرق الأوسط المتداولة في الأدبيات السياسية الغربية، هي العبارة البديلة لجملة (الرجل المريض) المخترعة في بداية القرن الماضي، ولكن الجملة الجديدة تأتي اليوم وهي حاملة لمضامين أكثر قساوة وأعمق بشاعة، ليس على مستوى تدمير الأوطان، وقهر الإنسان وتخريب المستقبل وتدنيس الحاضر، بل الأخطر من ذلك أن تتورط الأجيال الجديدة في تلك المعارك المقبورة، وتدفع إلى الانزلاق في حروب الأموات، دون أن تكون قادرة على مجرد فهم أدبيات تلك الحروب، ولا مستوعبة لشعاراتها، وليست قادرة على تلمس النتائج المترتبة عنها.²

ولتوضيح الأمر أكثر حول تجليات الاسترجاعية في الممارسة الإعلامية يمثل مقطع زمني عشوائي من ما أطلق عليه (الحراك) في الجزائر وقبله السياق العالم لما عرف بـ (الربيع العربي) نموذجاً مهماً في هذا الإطار الذي يمكن المتابع مبدئياً من الانتباه للكثير من الملاحظات الأولية في انتظار ظهور تلك الدراسات المتخصصة لهذا الموضوع نواجه قبل ذلك مجموعة من السلوكات التي تبرز من خلالها العقيدة الاسترجاعية وفي هذا السياق يمكن الإشارة إليها فيما يلي:

¹ انظر . رفيق نصر الله. ميديا الحرب الناعمة. فن السطوة على الرأي العام -ص33 -بيسان للنشر ط1- بيروت 2016

² انظر . وفيق رؤوف . إنبهار العقل العربي: المسألة وما بعد. منتدى المعارف . ط1. القاهرة 2011

- السطوة الباطشة للمزاج الشخصي الذي يتجاوز الحدود والمعايير المهنية والقواعد العلمية المؤسسة للمنظومة الإعلامية، كون الأزمات والفترات التي تحدث فيها التوترات بمختلف أنواعها ولأسباب كثيرة تتورط المؤسسات الإعلامية في اتونها وبسبب قلة احترافيتها وعدم توفر المستويات المطلوبة والشروط الضرورية للممارسة الإعلامية يتدخل المزاج الشخصي، وتسيطر العواطف الذاتية على الممارسة الإعلامية، فتزول تلك الحدود البينة بين الحقيقة النسبية الميدانية، وبين العواطف والمواقف الشخصية، التي تجر الموضوع برمته إلى تلك المزالق البعيدة عن الموضوعية والمهنية.

وبدوافع كثيرة تتدخل تلك العواطف وتنجر الممارسة الإعلامية إلى مجاملة الجمهور والسعي إلى تحصيل منتوجاتها المتوقعة، ذات الطابع التجاري الذي ترتفع فيه مستويات شراهة الاستهلاك، كونها تتصور أن الأمر محسوم بتلك الموجات العاطفية بشعارات تبريرية، مستندة إلى شواهد تاريخية مستلزمة من الماضي متصادمة مع المنطق والمسلّمات المعرفية، وتتنازل بسرعة تلك الممارسة عن كل الثوابت المعرفية في تتبع سبل البحث عن الحقيقة.

- القبول الطوعي لـ (المثقف) القيام بدور القائم بالتعليق وليس منتج الأفكار أو القائم بتحليل ما يدور من أحداث، وما يتطور عنها من معطيات متغيرة كونها نتيجة تحول اجتماعي كبير وفي فترة زمنية قصيرة، وهذا النوع يطلق عليه في الدراسات الحديثة لقب المثقفون المزيّفون (هم ممن يلجأون لحجج هم أنفسهم لا يقتنعون بها باستخدام وسائل غير شريفة للدفاع عن قضايا تفرضها إرادة المؤسسات الإعلامية ويفرق بينهم وبين صنف آخر يسميهم (المرتزقة) وهم أدنى وعيا وهم ممن لا يؤمنون بشيء بقدر المردودات التي يجنونها . ويستنتج بان المرتزقة والمزيّفين يدركون مخالفتهم للأمانة الفكرية ولا يعنون بذلك وكلاهما يستغل عدم نضج الجمهور لتمرير قناعات الجهات المستفيدة)¹، وقد أثبتت الوقائع الميدانية أن مرحلة ما يسمى بـ (الحراك)² عرفت الكثير

¹ انظر : باسكال بونيفارس، المثقفون المزيّفون، النصر في الإعلامي لخبراء، ترجمة: روز مخلوف، دار ورد للطباعة والنشر، دمشق،

2013، ص 38.

² وضعنا كلمة الحراك بين قوسين وسبقنا عبارة ما يسمى دون المصطلح لم يتم الاتفاق عليه أكاديمية وبقى خاضع لمجموعة من المصطلحات.

من هذا النموذج الذي سرعان ما وقع في أيدي رواد مواقع التواصل الاجتماعي فوجهوا لهم الكثير من الضربات القاصمة التي اهانت مكانتهم العلمية والاجتماعية.

- انتقال المؤسسة الإعلامية إلى إنتاج القيم الاستراتيجية عبر توظيف أقصى درجات الشعبية وبطرق مسيرة للمزاج العام المتميز بالتقلب والسرعة في التغير تحت ضغط الكسب المادي والشهرة التداولية تماشيا مع المرحلة الجديدة التي تزامن صعود الشعبية مع التكنولوجيات الاتصالية الحديثة (منذ ثمانينيات القرن الماضي، عاد مصطلح الشعبية إلى الواجهة في توصيف بعض الحركات السياسية في العالم، وكذلك في توصيف بعض نماذج القادة، ولا يمر يوم إلا ونسمع عن خطب شعبية وقادة شعبيين، وأحزاب شعبية وإعلام شعبي)¹، وفي الكثير من الأحيان يتم الإعتماد على الأدوات المسهلة والمكرسة لتسويق الشعبية (اللغة - الإشارات - الرموز - الصور) حتى يكون الوصول إلى تكريس المعنى المبتذل للشعبوية وإشباع رغبات الجمهور والحصول على رضاه دون مراعاة الشروط الأخلاقية والمعايير المهنية للممارسة الإعلامية.

- تجاوز الحدود الأخلاقية عبر التساهل في تسويق الأخبار دون التأكد من مصداقيتها استناد إلى مصادر غير موثوقة مندرجة في سياق الموجة العاطفية المعتمدة على نشر الأخبار الكاذبة. وهي الممارسة التي تستند إلى قوانين الحرب الإلكترونية الجديدة²، تحت سطوة السبق الصحفي أو الحصول على ميزة التفوق الإعلامي والأكثر من ذلك خطورة تورط (المثقف) في التوسع في مدلولات تلك الأخبار الكاذبة، أو المغلوطة بغرض الحصول على قبول اجتماعي وحصانة عمومية من الجماهير³.

- عدم الانتباه إلى الدعوات التحذيرية من الوقوع في المزالق الخطيرة الأخلاقية والمهنية، وهي الدعوات التي في الغالب لا تصدر إلا عندما يتجاوز مستوى عدم الالتزام بالمعايير المهنية والأخلاقية، وبالذات عندما تجد المساندة من انجرار (المثقف) نحو مجازاة الموجات العاطفية (الشعبوية) في سياق الحصول على أكبر قدر من التشجيع والقبول

¹ انظر : منى خويص، رجال الشرفاء، ط1، دار الفارابي، بيروت، 2001، ص 16.

² انظر : جاسم البصيلي، الحرب الإلكترونية أسسها وأثرها في الحروب، ط1، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 1989، ص 28.

³ غوستاف لو بون، سيكولوجية الجماهير، ترجمة: هشام صالح، ط1، دار الساقي، القاهرة، 1991، ص 57.

الشعبي وهروبا من عاطفة الغضب المزاجية، التي تبرز في لحظات الاختلاف في المواقف وصدور القرارات غير المحبذة أو عندما تمس المصالح التي تمثلها الأطراف المتصارعة.

- ويزداد الأمر خطورة عندما ينعدم توفر القدرة على التراجع والاعتذار عند ارتكاب الأخطاء سواء في بث الأخبار أو التسويق للإشاعات، التي في الغالب ما تتصاحب معها موجات التورط في التبشير بالكراهية وتضخيم الأخطاء والتسرع في إصدار الأحكام الجاهزة ضد الأشخاص والحرص على التشهير بهم، والدعوة إلى الصدام وحمل الأحقاد من خلال الانجرار نحو التورط في التشبيه واستحضار الأحداث المأسوية للماضي، وهي التي يتم الاستنجاد بها للحصول على تحقيق المزيد من الانتصارات كونها تمثل الطاهرة والنقاء.

إن الممارسات التي قامت بها كتب الفرق ومدونات المذاهب وتصنيفات الطرق في غابر القرون، لا تخرج عن النسق السياسي والسياق الصراعى اليومي، على الخريطة الاجتماعية ومستويات الحصول على الاعتراف التداولي، وفي أفضل الحالات كانت مدونات لتاريخ حالات زمنية متباينة، عملت فيها عوامل الزمن عملها الطبيعي، دون أن تكون قادرة على الانتقال إلى المستقبل¹، ولم تحمل في صفحاتها إجابات للأسئلة القائمة، مما يجعل من توريط الأجيال الإعلامية الجديدة في أتونها جريرة كبرى، تضاف إلى تلك المشهدية القائمة، الممارسة اليوم على المستويات المادية لمنطقة الشرق الأوسط (الرجل المريض) برمتها، لتبقى هذه العبارة المهمة للمتابعين لحركة الدول والإمبراطوريات (تميل الإمبراطوريات إلى السقوط لأنهم يفرطون في أنفسهم، ويفسدون نخيمهم، ويخلقون الشروط المسبقة لموتهم. لكن ما نراه ليس انسحابا مسؤولا من الإمبراطورية من أجل الاستثمار في الاحتياجات العاجلة في الداخل أو تمردا على إمبراطورية العالم البائسة)².

يراهن البعض ممن استعذبوا التعاطي مع الموجات الإعلامية، على أن أهم الدوافع التي تقف وراء استيراد ملفات الماضي والترويج لها في عالم اليوم، هو الاكراهات المؤلة

¹ انظر : جورج طرايشي، نقد العقل العربي العقل المستقيل في الإسلام، ط1، دار الساقي، القاهرة، 2004.

² BY DAVID KLION, The American Empire Is the Sick Man of the 21st Century , APRIL, 2- 2019
<https://foreignpolicy.com/2019/04/02/the-american-empire-is-the-sick-man-of-the-21st-century/>

لعوالم الرقمنة الزاحفة، التي تتطلب قدرات ابتكارية للمشكلات التي تخلفها، وبدلاً من المواجهة الإبداعية من خلال التفكير من مشكلات الراهن، والسعي إلى توفير الحلول المناسب لها، يكون الاتجاه نحو استيراد أوراق الماضي، وفي الغالب يكون التشويه المنهج المتبع، والمغالطة الأسلوب الغالب.

وفي غمرة الممارسة الإعلامية اليومية الغارقة في الكثافة والتنافس والمحاكاة والمنافسة، يتم إقحام الأشاعرة والمعتزلة وأهل السنة وغيرها من العناوين، وما خلفوه من ملفات رحلت مع غيرها، والتي لا تصلح منطقياً إلا في وقتها، ولا يقبل في زمن آخر، لانعدام أدنى مستويات القبول بها، ولا يوجد الاستعداد للتعامل معها، والسبب واضح وبسيط، كونها منتوجات سياسية مرتبطة بظروف زمانها، وقد أنتجت للتعبير عن صراعات اجتماعية، ولا علاقة لها بالمضامين المقدسة، إلا أن تداعيات تلك الصراعات منحتها شرعية التقديس الباحث أصحابه عن شرعية القبول الميداني، (عبر التاريخ العربي الإسلامي، ظهرت خطابات سياسية وفقهية تصب في خدمة السلطة. ومن جانب آخر، كانت المعارضات تتبنى خطابات مغايرة لكسب الأنصار، ومجاهدة الحكام)¹، فتكون العمليات الاسترجاعية العامل الحاسم في التحكم في إيقاع طبيعة الصراعات الدائرة وفي أغلب الأحيان يكون الفضل لتأثيراتها في الفضاءات الاتصالية الحسم النهائي لتلك الصراعات. لقد مرت على مسيرة القرون الخمسة عشرة، الكثير من المعطيات والمراحل، التي حملت إفرزات كل مرحلة، وتضمنت مشكلات وأزمات كل زمن، دون أن يكون للقدر سلطة المحتوم على الأجيال السابقة أن تفرض على غيرها مشكلاتها، ولا الأجيال القادمة الالتزام بقضايا غيرها، فلكل أمة أوزارها وانجازاتها، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِمْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾² مما يجعل المسؤولية التاريخية بكل مدولاتها مرتبطة بالعامل الزمني للذين يجدون أنفسهم محاصرين في مناخ سلوكياتهم وممارساتهم اليومية في مختلف المجالات، ويبقى الامتحان

¹ حامد فتحي، السلطة والمعارضة في التاريخ الإسلامي... أشكال الصراع على الشرعية

السياسية، موقع صيف، نشر بتاريخ 24 مارس 2018.

<https://raseef22.com/article/141576>

² سورة فاطر الآية 17.

الأساس والمحك الأهم، هو تلك اللحظة التاريخية التي تواجه فيها كل أمة زمنها، وما يحمله من معطيات وما يكون من الاستجابة المناسبة من النخب التي تتحمل المسؤولية التاريخية في التكفل بحيز الزمني المتاح لها.

المصادر والمراجع

1. حميدة نزار، النصوص الرؤيوية الكتابية، مجالاتها وتداعياتها على الفكر الديني، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2018.
2. بسام الجمل، للمتخيل - جدل التاريخ والمتخيل، مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، ط1، الرباط، 2016.
3. نبيل علي، العرب وعصر المعلومات، عالم المعرفة، ط1، الكويت، 2001.
4. علي حمادي إبراهيم، آليات صناعة الإعلام، دار المعتر، ط1، عمان، 2013.
5. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحق: محمود شاكر، دار المدني، ط، العربية السعودية، 1970.
6. صلاح مذكور، الإعلام العربي وقضايا الفكر المعاصر، الواقع والمأمول، جامعة عين شمس، ط1، القاهرة، 2009.
7. أحمد القبانجي، الإسلام المدني، لانتشار العربي، ط1، بيروت، 2010.
8. جاسم سلطان، التراث وإشكالياته الكبرى نحو وعي جديد بأزمتنا الحضارية، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، بيروت، 2018.
9. لؤي عبد الفتاح، المنطقة العربية من تداعيات الحراك الاجتماعي إلى فوضى الصراع الجيوسياسي، (الحراك الاجتماعي في المغرب والمشرق الاتجاهات الراهنة والآفاق، مؤلف جماعي)، ط1، مخبر الأبحاث القانونية والسياسية جامعة تازة، الرباط، 2015.
10. رفيق نصر الله، ميديا الحرب الناعمة، فن السطو على الرأي العام، بيسان للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 2016.
11. حامد فتحي، السلطة والمعارضة في التاريخ الإسلامي... أشكال الصراع على الشرعية السياسية، موقع صيف، نشر بتاريخ - 24 مارس 2018.

الرابط: <https://raseef22.com/article/141576>

12. BY DAVID KLION , The American Empire Is the Sick Man of the 21st Century , APRIL, 2-2019